حضرت عائشہ صدیقہ رض

دراسة عن عمرها عند زواجها

مئولف: شمشاد محمد خان

ISLAMIC VISION
IPCI

عنوان: حضرت عائشہ صدیقہ رض
دراسة عن عمرها عند زواجها
نشرت من: آئی پی سی آئی
مئولف: شمشاد محمد خان
مترجم: کمال براهیمی
آئی ایس بی نمبر: ۹۷۸-۰-۹۵۶۱۷۹۰-۲-۷
الطبعة الاولى: مئی ۲۰۲۲

OPEN ORDER

ISLAMIC VISION
IPCI

426-434 Coventry Road • Birmingham B10 0UG - UK
Tel: 0121 773 0137   Fax: 0121 766 8577
Email: info@ipci-iv.co.uk
Web: ipci-iv.co.uk

السن الحقيقية

للسيّدة عائشة (رضي الله عنه)

عند زواجها

1.ما الذي دفعك إلى خوض غمار هذا الموضوع؟

بصراحة، لم أتقبل أبدًا منذ نعومة أظافري فكرة أن تكون السيّدة عائشة الصدّيقة (رضي الله عنها) تبلغ من العمر ست سنوات عند النكاح وتسع سنوات عند الزواج.

- كنت أطرح هذا السؤال على عدّة علماء، وكنت أتلقى أجوبة عديدة. دعَوْنا إلى المملكة المتحدة، في أوائل التسعينيات، أحد أعظم علماء عصرنا الراهن من مدينة دلهي، بالهند. وقد مكث في منزلنا، ممّا أتاح لي فرصة قضاء الكثير من الوقت بمعيته وطرحت عليه حينها هذا السؤال:

كم كان عمر السيّدة عائشة عند نكاحها وزواجها؟

أجابني: "حسنًا، حسب البخاري، ستة وتسعة".

سألته: "لكن يا شيخ صاحب، هل تتزوّج فتاة في السادسة من عمرها؟"

بقي صامتا.

كررت عليه السؤال: "هل تُزوّج ابنتك في سن السادسة أو التاسعة؟"

بقي صامتا مرة أخرى.

"يا شيخ صاحب، سألتك لماذا يزيغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن السبيل ليأتي بسُنة يستحيل على علماء من أمثالك إتباعها؟"

لم أتلق أي إجابة هذه المرة أيضا.

في صباح اليوم التالي، رأيته جالسًا في غرفة الجلوس ممسكًا برأسه.

ألقيت عليه السلام وسألته إنْ كان كل شيء على ما يرام.

"هل تعلم أنّي لم أستطع النوم طوال الليل".

فسألته: "لكن لماذا؟"

"حسنًا، لقد كنت أفكر طوال الليل. إنّك على حق، لدينا أدلة تُثبت أنّ عائشة (رضي الله عنها) كانت في السادسة عشرة من عمرها عند النكاح وفي التاسعة عشر عند الزواج".

ثم أرسل لي كتابًا من الهند بعنوان "السن الحقيقية لعائشة الصدّيقة (رضي الله عنها) عند زواجها" لمولانا محمد فاروق خان.

يستند الكتيب الأوّل الذي أصدره المركز الدولي للدعوة الإسلامية عن سن عائشة الصدّيقة (رضي الله عنها) إلى هذا الكتاب.

وقد تم في وقت لاحق نشر كتب أخرى أيضًا، منها على سبيل المثال "أمّ عائشة" للعلامة حبيب الرحمان الصديقي و "عمر أمّ الأمة" لحكيم نياز أحمد. وكلّها تُثبت أنّ السيّدة عائشة

الصدّيقة (رضي الله عنها) كانت في الواقع تبلغ ستة عشر سنة عند نكاحها وتسعة عشر سنة حينما التحقت ببيت النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم).

2.كيف تم ترتيب الزواج بين النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم)و السيدة عائشة (رضي الله عنها)؟

كتب ابن كثير ، استنادا إلى البيهقي والمسند، في كتابه "تاريخ البداية والنهاية" أنّ السيّدة خديجة (رضي الله عنها) قد ماتت في السنة العاشرة من النبوة؛ وحينها أدركت السيّدة خولة، إحدى أقرباء الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم)، أنّ النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) قد أصبح الآن وحيدًا ويعيش تحت ضغط كبيرلأ داء واجباته كرّب أسرة ولرعاية الأطفال والقيام بالأعمال المنزلية، فضلا عن مزاولة أنشطته الكثيرة في مجال الدعوة. ولهذا اقتربت منه واقترحت عليه أن يتزوّج، حتى يتمكّن ذلك السند الأمومي من رعاية الأطفال والأسرة وقد ذكرت احتمالين اثنين:

1) السيّدة سودة، وهي "ثيب" وأرملة مسنة،

2) و السيّدة عائشة بنت أبي بكر، وهي "بكر".

تحيل كلمة "ثيب " إلى امرأة مسنة، بينما تشير كلمة "بكر" إلى امرأة شابة عذراء غير متزوجة وناضجة عقليا وجسديا.

لم تقل عن السيّدة عائشة أنّها "جارية"، وهي كلمة تُستخدم للفتيات الصغيرات اللائي قد بلغن أو لم يبلغن سن البلوغ.

(في ظل تلك الظروف العصيبة والمتطلبات الملحة والماسة، فإنّ الزواج من قاصر تحتاج في حدّ ذاتها إلى الرعاية والاهتمام أمرلا يُمكن تصوّره.

لانه اذا كان الامر كذلك، فان المشاكل ستزداد لاتنقص).

الآن وبعد أن حصلت على موافقة الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم)، تحدّثت السيّدة خولة أوّلاً مع أبي بكر (رضي الله عنه) وطرحت عليه الاقتراح.

أجابها أبو بكر (رضي الله عنه) أنّ عائشة (رضي الله عنها) مخطوبة لجبير بن المطعم، (ومن الواضح أنّها كانت شابة في سن الزواج). لكنّه قال إنّ جبير ليس مسلماً، لذا سيتحدّث إلى والده مطعم في الأيام الآتية ليتخذ بعدها قراره.

اعتقدت السيّدة خولة أنّ الأمر ليس وشيكًا، وربّما لن يحدث مطلقًا. لذلك تحدّثت مع السيّدة سودة (رضي الله عنها) وهي أرملة مسنة. قبلت هذه الأخيرة وتزوّجت من الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم) وانضمت إلى أسرته.

لكن بعد مرور بضعة أيام، حينما التقى أبو بكر(رضي الله عنه) بمطعم وحدّثه عن زواج جبير مع عائشة، بما أنّهما مخطوبان منذ فترة، رفض مطعم المضي قدما في الأمر لأنّه كان يخشى أن يعتنق ابنه جبير الإسلام، وهو لا يريده أن يحدث ذلك.

تواصل بعدها أبو بكر مع السيّدة خولة، وأوضح لها الموقف وأخبرها أنّه يقبل العرض الذي قدمته لعائشة.

كان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآلِه وسلم) قد تزوج من السيّدة سودة، لكنه لم يشأ أن يلغي العرض المقدم للسيّدة عائشة. والسبب في ذلك، أنّها أولاً ابنة أعز أصدقائه، وثانيًا لأنه كان من المكروه اجتماعيًا أن يُرفض عرض في ظل تلك الظروف في كنف ذلك المجتمع.

وعليه، فقد تم الاتفاق على أن يتم النكاح بين النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) والسيّد ة عائشة لتلتحق ببيت النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) في وقت لاحق.

3.ألم تتم الإشارة في كتاب البخاري إلى أنّ السيّدة عائشة كانت في سن السادسة عند النكاح وأنّها التحقت ببيت الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم) في سن التاسعة؟

بلى، لقد ورد ذلك مرتين في كتاب "فضائل الأنصار" للبخاري. لكن، دعونا أولًا نتأمل الحديث الموالي الذي جاء في كتاب الإيمان (البخاري، 2023).

عن عبادة بن صامت (رضي الله عنه): "أنّ رسول الله صلّ الله عليه وآله وسلم، خرج يخبر بليلة القدر، فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: إنّي خرجت لأخبركم بليلة القدر وإنّه تلاحى فلان وفلان، وعسى أن يكون خيرا لكم، فالتمسوها في السبع والتسع والخمس."

جاءت الإشارة في الحديث الآنف الذكر إلى ليلة القدر في السبع والتسع والخمس أي السابع والتاسع والخامس، في حين أنّه من

المعروف أنّها في السابع والعشرين والتاسع والعشرين والخامس والعشرين من شهر رمضان.

لذلك، كان من المفترض أن يرد في الحديث "سبع وعشرون، تسع وعشرون، خمسة وعشرون".

لكنّنا نعلم أن الحديث يحيل إلى العشر الأواخر من شهر رمضان، لذلك فإنّ كلمة "عشرون" مفهومة ضمنيا.

دعونا الآن ننتقل إلى الحديث المذكور في البخاري والمتعلّق بسن السيّدة عائشة (رضي الله عنها).

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: "تزوّجني النبي صلّ الله عليه وآله وسلم، أنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة ونزلنا في بني حارث بن خزرج، فوعكتُ فتمرّق شعري، فوَفى جُميْمةً، فأتتني أمي أمّ رومان وإني لفي أُرجوحة ومعي صواحب لي، فصرخت بي، فأتيتها لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار، وإنّي لأَنهَجُ حتى سكن بعض نفسي، ثم أخذتْ شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقُلنَ: على الخير والبركة وعلى خير

طائر، فأسلمتني إليهنّ فأصلحنَ من شأني فلم يُرِعْني إلا رسول الله صلّ الله عليه وآله وسلم ضُحىً فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين." (بخاري، 3994)

حدّثنا أسامة عن هشام عن أبيه قال: "توفيت خديجة قبل مخرج النبي صلّ الله عليه وآله وسلم، إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين تقريبا من ذلك ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ثم بنى بها وهي تسع سنين." (بخاري، 3896)

نرى من خلال الاقتباسات السابقة أنّه تم ذكر ستة وتسعة مع تمييزهما باللون الأحمر. ولكن بتطبيق نفس المبدأ المعمول به في الحديث (2023) الآنف الذكر، فالمقصود في الواقع هو ستة عشر وتسعة عشر، وقد تم حذف كلمة "عشرة" لأنّها مفهومة.

وقد ذهب رأي آخر إلى أنّ كلمة "عشرة"حذفت في الرواية بالعربية. من المفروض أن ترد كلمتي "ستة عشر"و"تسعة عشر"،غير أنّ كلّ التدوينات في تلك الأيام كانت تتم بواسطة نسّاخ (كُتّاب) يتولون مهمة نسخ النصوص و غالبًا ما لا

يركزون لا على المحتوى ولا على السياق. فقد كانت تقتصر وظيفتهم على النسخ فقط. وإذا تم ارتكاب خطأ مرة واحدة، فسيتكرّر ذلك حتى يستقصي عنه أحدهم ويبادر بالتحقيق فيه.

ثمّة رأي آخر يأخذ بالاقتباس على ما هو عليه. إلاّ أنّه يستعصي علينا أيم استعصاء قبول هذا الرأي، وذلك للأسباب التالية:

جاء على لسان البخاري، في كتاب التفسير (4876)، أنّ السيّدة عائشة (رضي الله عنها) قالت: " لمّا نزلت سورة القمر عن حادثة انشقاق القمر كنت جارية ألعب".

روى يوسف بن ماهَك فقال: "إنّي عند عائشة (رضي الله عنها) أم المؤمنين. قالت: بَلِ الساعةُ موعِدُهم و الساعة أَدْهَى وَأَمَرُّ (54: 45) ، لقد أُنزِل على محمد (صلى الله عليه وآلِه وسلم) بمكة، وإنّي جارية ألعب."

ثمّة رأيان بشأن تاريخ نزول سورة القمر، وهما كالتالي:

i) يقول معظم المفسرين أنّها نزلت في السنة الرابعة من النبوة.

ii) جاء على يد مولانا المودودي في تفسيره القرآن أنها نزلت قبل الهجرة بخمس سنوات.

إذا اعتبرنا أنّ سورة القمر نزلت في السنة الرابعة من النبوة وهي جارية تلعب (حديث 4876)، فإنّها تتناقض مع الأحاديث (3894) و(3896). فلو كانت في زمن النكاح (قبل سنة واحدة من الهجرة)، لما كانت مولودة عند نزول سورة القمر، ناهيك عن كونها جارية تلعب.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار تاريخ نزول الوحي، الذي قدمه مولانا المودودي في تفسيره للقرآن، بأنّ سورة القمر نزلت قبل الهجرة بخمس سنوات، فهذا يجعلها طفلة تبلغ من العمر سنة واحدة عند نزول سورة القمر. وبالتأكيد، لا يمكننا أن نقول عن طفلة تبلغ من العمر سنة واحدة أنها جارية تلعب، كما ورد في الحديث (4876) المذكور آنفا ،و تُدرك جيدًا أنه كان الوحي و تُرسِخ الأمر في ذاكرتها.

لذلك من الواضح أنّه لا يمكننا أن نأخذ حرفيا بالأحاديث رقم (3894) و (3896) التي تحدّد سنها بست سنوات عند النكاح وتسع سنوات عند الزواج.

ولكن، إذا اعتبرنا الحديث رقم (4876) المذكور آنفا دقيقًا واحتسبنا أنّ عمرها 11سنة حينما كانت جارية تلعب، واعتبرنا أنّ سورة القمر نزلت في السنة الرابعة من النبوة، فهذا يجعلها تبلغ من العمر ثمانية عشر سنة عند النكاح. وإذا نزلت سورة القمر قبل الهجرة بخمس سنوات، فيكون عمرها ستة عشرة سنة عند النكاح.

والجدير بالذكر أيضًا أنّ السيّدة عائشة (رضي الله عنه)، على حدّ ما ورد لدى البخاري ومسلم، هي نفسها تنتقد أحيانًا وتصحّح الرواة قائلة إنّني لا أقول إنّهم يكذبون عمدًا ولكن ما أقوله هو أنّنا نقول أحيانًا شيئًا ما ولكن هذا يعني شيئًا آخرا و نسمع أحيانًا شيئًا ما ولكن نُفسّره على أنّه شيء آخر.

و نورد فيما يلي بعض الأمثلة لتوضيح هذه النقطة:

توفي يهودي، فشرع أقاربه في الصراخ والنواح والبكاء بصوت عال. ولدى سماع كلّ هذه الضجة، قال عبد الله بن عمر أنّ الفقيد يعاني في القبر بسبب أصواتهم المتعالية. (البخاري، كتاب الجنائز)

وردّ ا على ذلك قالت عائشة (رضي الله عنها) إنّ هذا لا أساس له من الصحة، إذْ أوضح القرآن الكريم: " وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ". (6:164، 17:15، 35:18...)

قال عبد الله بن عمر إنّ الموتى يسمعون في القبر لأنّه بعد غزوة بدر، نادى الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم) بأسماء زعماء قريش وتحدّث إلهم. فصحّحت له السيّدة عائشة (رضي الله عنها) وقالت إنّ ذلك لمن معجزات الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم). (البخاري، كتاب المغازي)

4. هل كانت العرب في تلك الأيام تُزوّج بناتها في سن مبكرة جدا؟

هنا تكمن النقطة التي أثارها أولئك الذين يأخذون حرفيًا بالأحاديث (3894) و(3896) ، ويقولون إنّه من المحتمل أنّ العرب فعلت ذلك.

لكن عندما ندرس تار يخ العرب قبل الإسلام وبعده، نجد أنّ العرب لم تفعل ذلك آنذاكولا في وقتنا الراهن.

ثمة نقطة أخرى يؤكدون عليها في أقوالهم و هي أنّ الفتيات ينضجن مبكرا في ظل المناخات الحارة،و لهذا تصبحن في سن مبكرة قابلات للتزويج. إنّ هذه الحجة عموما لا أساس لها من الصحة مرة أخرى. بالطبع، ستجد دائمًا استثناءات، كما هو الحال مع أشياء أخرى في هذه الحياة. نذكر على سبيل المثال، تلك الفتاة البرازيلية التي علِمنا من خلال وسائل الإعلام، أنّها أصبحت حاملا في سن العاشرة. لكن هذه الحوادث المعزولة استثنائية للغاية.

إذا درسنا تاريخ الإسلام المبكرو استقصينا عن الزيجات التي تمت في زمن الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم)، نجد أنّ السيّدة أسماء بنت أبي بكر تزوجت في سن25، وتزوجت السيّدة أم كلثوم (رضي الله عنها) ، بنت الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم) وهي تبلغ 23 سنة، وتزوجت السيّدة فاطمة (رضي الله عنها) عن عمر يناهز21 سنة.

كانت الفتيات، عموما، في عهد النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم)، يتزوجن في سن الثامنة عشرة تقريبًا.

5.متى ولدت السيّدة عائشة بالضبط؟

من الصعب تحديد تاريخ ولادتها بالضبط، ومع ذلك ، فإنّ التفاصيل التي سيلي عرضها توفينا بتقديرٍ دقيقٍ إلى حدّ ما.

جاء في أوّل سيرة نبوية لابن إسحاق أنّ السيّدة أسماء بنت أبي بكر والسيّدة عائشة كانتا السابعة عشر والثامنة عشر في الترتيب في السبق الى الإسلام خلال السنة الأولى من النبوة. فمن المفترض إذًا أنّها كانت تبلغ من العمر أربع سنوات على

الأقل، حتى تعتنق الإسلام بكل إدراك.وهذا ما يجعلها في السادسة عشرة من عمرها عند النكاح.

يرى المؤرخون عامة أنّها ولدت في زمن بناء الكعبة قبل النبوة بخمس سنوات.

نزل الوحي على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأول مرة وهو في سن الأربعين، وتم النكاح قبل الهجرة بسنتين. وهو ما يؤكد مرة أخرى أنّها كانت في السادسة عشرة / السابعة عشرة من عمرها عند النكاح.

يذكر بن عساكر في "تاريخ دمشق" أنّ السيّدة عائشة كانت فتاة مدرِكة عندما أسلم والداها أبو بكر والسيّدةأم رومان. كانت تعرف وتُدرك تمامًا ما كان يدور حولها، لذلك فمن المفترض أنّها كانت تبلغ آنذاك أربع أو خمس سنوات على الأقل. تم النكاح بعد ذلك بإحدى عشرة سنة، مما يعني مرة أخرى أنّها كانت تبلغ ستة عشر/ سبعة عشر سنة عند النكاح.

لقد أجمعت ثلّة من المحدثين والفقهاء مثل الإمام بن سعد في كتابه "الطبقات"، وابن كثير في كتابه "البداية والنهاية"، وحافظ بن حجر في عمله "التهذيب"، وابن هشام في "السيرة"،و الذهبي

في "سير أعلام النبلاء"على أنّ السيّدة أسماء كانت في السابعة والعشرين من عمرها و عائشة في السابعة عشرة وقت الهجرة من مكة إلى المدينة.

علاوة على ذلك، يتفق جميع المؤرخين أنّه عندما استُشهد عبد الله بن الزبير عام 72 هـ، كانت والدته السيّدة أسماء بنت أبي بكر تبلغ من العمر مائة سنة . وكانت السيّدة عائشة أصغر بعشر سنوات من أختها الكبرى أسماء، وهذا ما يجعل السيّدة عائشة تبلغ من العمر:

68/67 سنة عندما توفيت عام 50هـ

و 29/ 30 سنة لمّا توفي النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم)عام 11هـ

و 20/19 سنة عند الزواج عام 1 هـ

و 17/16 سنة عند النكاح بسنتين قبل الهجرة.

وعمرها 5/4 سنوات عندما أسلمت في السنة الأولى من النبوة.

وبالتالي، فقد ولدت قبل ظهور النبوة بخمس سنوات عندما أعيد بناء الكعبة.

6. اقتبس البخاري قول السيّدة عائشة إنها كانت تلعب على المراجيح مع أصدقائها عندما نادتها والدتها للاستعداد تحسبا للالتحاق ببيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ماذا ستقول عن ذلك؟

نعم، إنّه يشير إلى الحديث (3894) في كتاب البخاري. لنتأمل فقط في الظروف؛ فقد روت السيّدة عائشة لعمرة بنت عبد الرحمان، عن بن سعد في كتاب"الطبقات"، أنّه لما انتقل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)و أبو بكر إلى المدينة، فقد كان هذا الأخير و بعد فترة وجيزة من الاستقرار حريصا بشأن انضمام السيّدة عائشة إلى بيت النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم).

يجدر أن نطرح السؤال التالي: إذا كانت السيّدة عائشة آنذاك في سن التاسعة فقط، فلماذا يحرص والدها كل الحرص، ألأنها كانت لا تزال طفلة صغيرة؟ لكنه كان بالفعل حريصا!

لقد كان حريصا لدرجة أنّه اقترب من النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) وسأله عن سبب عدم قيامه بترتيبات انضمام عائشة إلى بيته.

و السبب الوحيد الذي قدمه النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) هو أنّه لم تكن بحوزته أي موارد مالية لمنحها مهرًا (هدية الزفاف).

عند سماع ذلك، أقرضه أبو بكر خمسة مائة درهم ليتسنى للرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم)الوفاء بهذا الشرط.

أتوقف الآن عند سؤالك أنّه وفقًا للبخاري ، قالت السيّدة عائشة إنّها كانت تلعب على المراجيح عندما طلبت منها والدتها الاستعداد تحسبا للالتحاق ببيت النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم).

إذا أردنا استبدال كلمة "اللعب" بمفهوم التواصل الاجتماعي، فسيكون ذلك منطقيًا تمامًا. فلا يخفى علينا أنّ الناس في المناطق الريفية لبلدان الشرق الأوسط وكذلك شبه القارة الهندية وباكستان وكشمير ، كانوا يفعلون ذلك وما زالوا يقومون بذلك إلى يومنا هذا، فهم يملكون مراجيح في الحدائق الخلفية. فحيثما توجد الأشجار، يقومون بربط الحبال بالأغصان وتكون بين أيديهم أرجوحة جاهزة.

اعتادت الفتيات الشابات في أيامنا هذه أن تجتمعن حول الأراجيح للدردشة والتواصل الاجتماعي ؛و حتى النساء الأكبر سنًا يفعلن ذلك، لأنّنا، على أية حال، كلّنا شباب في قلو بنا. أليس هذا من المعقول؟

7. كما ور د في صحيح مسلم أنّ السيّدة عائشة قد اعتادت، بعد الزواج، على اللعب بالدمى مع الأطفال و صديقاتها. كن تختبئن حينما ترين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قادمًا، لكنّه في الحقيقة كان سعيدًا جدًا برؤيتهن برفقتي، وكنا نلعب معًا. الرجاء التعليق.

ويتعلّق الأمر بالأحاديث رقم (6287) و (6288) التي وردت في كتاب "فضل الصحابة" لصحيح مسلم على النحو التالي:

عن عائشة قالت: "إنّها كانت تلعب بالنبات عند رسول الله صلّى عليه وآله وسلم، وكانت تأتيني صواحبي، فكن ينقمعن من رسول الله صلّى عليه وآله وسلم، قالت: فكان رسول الله صلّى عليه وآله وسلم يسربهن إليّ." (مسلم، 6287)

عن هشام عن أبيه في حديث جرير قال، قالت: "كنت ألعب بالبنات في بيته وهن اللعب."(مسلم، 6288)

عندما نتأمل الحديث المذكور آنفا ، نقرأ كلمة اللعب (مشتقة من الجذر لَعَبَ)، وهي تظهر في القرآن الكريم عدة مرات (57:57 ، 58 ؛ 32:6 ، 70 ؛ 65:9 ؛ 2 : 21 ، 16 ، 55 ؛ 29 : 64؛ 36:47 ....)، ويتم ترجمتها على النحو التالي: (pastime/لهو)، (amusement/ تسلية) ، (entertainment/ ترفيه) ، (game/لعبة) ،(play/ لعب)،(fun/ مرح) ،(sport/ رياضة)،(jest /مزاح.)..الخ.

فإذا استبدلنا كلمة اللعب بالترفيه / التسلية، فإنّ الأمر منطقي تمامًا.

و إذا عدنا بالزمن مائة سنة إلى الوراء، فإنّنا نعلم أنّه لم تكن توجد أجهزة راديو، ولا تلفزيونات، ولا أجهزة كمبيوتر، ولا هواتف ذكية، ولا شيء! فكيف كان الشباب والأطفال يقضون وقتهم؟ وماذا كان يفعل الكبار لإبقاء الأطفال الصغار منشغلين؟

أتذكر أيام طفولتي المبكرةحينما كان عمري حوالي 4/3 سنوات، كانت أختي الكبرى حينها حوالي 17/16 سنة.وكانت تتصل بصديقاتها لتدعوهن إلى منزلنا. فكانوا يبتكرن لعبةً للأطفال قصد إبقائهم منشغلينو مرحين.

فكانوا، على سبيل المثال، يتخذون دمية عروسةو دمية أخرى عريساو يرتبون "زواجًا وهميًا". كانوا في بعض الأحيان يطبخون لإطعام الضيوف الذين يتألفون من الأطفال الصغار وأصدقائهم. وفي مناسبات أخرى، كانوا يتظاهرون بكل بساطة "بإعداد الطعام."

تم ابتكار تلك الألعاب باستخدام الدمى وغيرها ، وكانت ممتعة جدًا ومرفهة، لتمضية الوقت وتجمّع الفتيات الشابات والأطفال، عموما، من شتى الأعمار. وغالبًا ما كانت تلك الألعاب ذات غرض تعليمي أيضًا.

وعليه، فقد كانت السيدة عائشة ، بمعية فتيات أخريات، أي صديقاتها، تمرح مع الأطفال.

ألا يُعقل أن يكون ذلك منطقيا؟

8.ما هي الأدلة الأخرى التي تُثبت أنّها كانت بالفعل تبلغ من العمر 16 سنة عند النكاح و19سنة حينما التحقت ببيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

(i) دور عائشة في "غزوة أُحد"

وفقا لبعض الروايات الواردة في "صحيح مسلم"، كانت السيّدة عائشة (رضي الله عنها) حاضرة في غزوة أُحد.

كما نقل البخاري أنّها كانت حاضرة في غزوة أُحد، حيث كانت تسقي المجاهدين وتعتني بالمصابين مع غيرها من السيدات. (البخاري، 4064)

ولا يخفى علينا أنّ الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم) لم يكن يسمح للقُصر دون سن الخامسة عشرة أن يشاركو ا في المعارك.

عن أنس بن مالك خادم رسول الله (صلى الله عليه وآلِه وسلم)، قال: "رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنّهما لَمُشمِرتان، أرى خدم سوقهما تنقزان على متونهما، تفرغان في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغان في أفواه القوم." (البخاري، 4064)

لم يكن بوسعي عبد الله بن عمر أن يشارك في غزوة أُحد لأنّه كان في الرابعة عشرة من عمره. وقد كانت غزوة الخندق هي أوّل معركة يُسمح له بالمشاركة فيها. كما لم يتمكن كلّ من أنس بن مالك وزيد بن ثابت من المشاركة لعدم بلوغهما سن الخامسة عشرة (تاريخ الطبري).

وهذا يُثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنّ السيدة عائشة لم تكن بكل تأكيد في التاسعة من عمرها عندما انضمت إلى بيت النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) ، لأنّه لم يكن سيُسمح لها بالمشاركة في المعارك في مثل هذه السن المبكرة.

بل هذا يُبيّن بالعكس تماما أنّها كانت شابة ناضجة، تشارك مع نساء أخريات من قبيل أم عمارة وأم سليم رضي الله عنهن جميعًا.

(ii) المعارف التي كانت تحظى بها عائشة

يتفق جميع العلماء على أنّ عائشة (ر ضي الله عنها) كانت تمتلك عقلًا باهرًا ،و تتمتع بمعرفة جيدة بالقرآن الكريم

والأحاديث. و قد كانت ماهرة للغاية في مجالات النسب والشعر والأدب وفن النقد.

كانت تسأل الرسول الكريم (صلى الله عليه وآلِه وسلم) عن محاسن آيات القرآن وسلبياتها.

و كانت ماهرة في العلوم الطبية المعروفة آنذاك.

لا مجال للشك أنها اكتسبت معرفتها بتفسيرات القرآن وغيرها من الدراسات ذات الصلّة بعلم الأديان على يد أفضل المدرسين– الآ وهو النبي نفسه (صلى الله عليه وآلِه وسلم).

لكنّنا لا نلمس أي دليل أو مؤشر على أنّها تعلّمت علم النسب أو طوّرت ذوقها للشعر والأدب بصحبة الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم). فلم يكن شاعرا ولا بارعا في مسائل النسب.

وفي المقابل، كان يُعرف عن والدها أبو بكر أنّه مرجع في النسب وصاحب ذوق رفيع في مجالَيْ الشعر والأدب.

فمن المنطقي إذًا أن نقول إنّها اكتسبت معرفتها بهذه المهارات عن والدها. ومن المنطقي أيضًا أن نقول إنّها لم تكن قادرة على

التحكم بمثل هذه الدراسات وهي صبية في سن التاسعة، بل كان لابد أن تبلغ 19 سنة لتكتسب عن والدها تلك المهارات القيادية قبل زواجها.

(iii) مقامها كفقيهة

أضحت السيّدة عائشة (رضي الله عنها) ناشرًا مهمًا للمعرفة الإسلامية والقانون وخاصة أقوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد تم تسجيل ما يُقارب 2210 مرويات جاءت على لسان السيّدة عائشة (رضي الله عنها).

في الواقع، لم تكن مكانتها مجرد راوية عظيمة، بل كانت فقيهة في حدّ ذاتها، ومعلّقة وعالمة عظيمة بأمور الدين. وإنّها لتُعتبر من أفضل فقيهات زمانها.

واستنادا إلى كتاب "أسد الغابة" لصاحبه بن الأثير، فقد اقترب من عائشة (رضي الله عنها) كبار صحابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لطرح أسئلة تتعلق بالعقائد ومبادئ الإيمان.

فقد تواصل معها كلّ من الخليفة عمر والخليفة عثمان وأبو موسى الأشعري ، رضي الله عنهم جميعًا، والتمسوا مساعدتها لحلّ بعض المشكلات المعقدة.

من الواضح أنّها كانت سيدة نا ضجة ذات 30/29 ربيعا حينما توفي النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم)، بعد أن دخلت بيته وهي في التاسعة عشرة من عمرها.

و لابد أن ندرك أيضا أنّه وفقًا لبعض المؤرخين، فقد سمح النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) لأصحابه "باستشارة عائشة" بشأن النصائح الإسلامية، حتى عندما كان لا يزال على قيد الحياة.

لا مناص من القول إنّ الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم) ما كان ليُرسل شخصا ما إلى فتاة صغيرة في التاسعة من عمرها، بغية الاستنصاح.

(iv) أسامة بن زيد (رضي الله عنه)

ولد أسامة في السنة الثالثة من النبوة. ولمّا كان ابن زيد بن

حارثه، فقد رعاه النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) وعامله كحفيد له.

ورد في مسند أحمد أنّ أسامة سقط ذات مرة في بيت النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) حينما كان طفلاً ، وقد طلب النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) من السيّدة عائشة (رضي الله عنها) أن تنظف أنفه الذي كان ينزف بالدماء...

ما يجب الوقوف عليه في هذا المقام هو أنّه إذا أخذنا حرفيًا بالأحاديث (3894) و(3896)، فسنجد أنّ أسامة كان، في العام الأوّل من الهجرة، بنفس سن السيّدة عائشة(رضي الله عنها). وما كان النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) ليطلب من شخص في نفس عمر أسامة تقريبًا أن ينظف أنفه. ففي الواقع، كانت السيّدة عائشة (رضي الله عنها) أكبر بعشر سنوات من أسامة (رضي الله عنه).

من المعروف أنّه بعد حوالي عشر سنوات ، في عام 10 هـ، تولى أسامة في سن التاسعة عشرة قيادة جيش المسلمين فور وفاة

النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) (وفقًا لكتاب "تاريخ دمشق" لابن العساكر ، كان أسامة يبلغ 17 / 20 سنة، عندما قاد جيش المسلمين)، بينما كانت السيّدة عائشة (رضي الله عنها) في التاسعة والعشرين من عمرها.

(v) رغبة السيّدة عائشة (رضي الله عنها) في الحصول على لقب

وفقًا للتقاليد العربية، يتبنى الرجل أو المرأة لقبا بعد اسم الطفل الأوّل. لقد كان اسم عبد مناف"أبي طالب"وكان طالب اسم ابنه: وكان أوّل ابن للنبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) اسمه قاسم، فلُقب بأبي القاسم.

وبالمثل، تبنت النساء أيضًا ألقابًا بعد ولادة طفلهن الأوّل، مثل أم سلمى وأم سليم. نقل كلّ من أبي داود وبن ماجة أنّ السيّدة عائشة (رضي الله عنها) أعربت ذات مرة عن رغبتها في تبني لقب. وبما أنّها لم تنجب، فقد اقترح علها الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم) أن تتبنى لقبا عن ابن أختها أسماء، عبد الله، الذي ولد في السنة الثانية للهجرة. وهذا ما فعلته

بالضبط . ما يلفت الانتباه هنا أنّه لو كانت عائشة (رضي الله عنها) طفلة صغيرة في التاسعة أو العاشرة من عمرها، فما كانت هذه الرغبة الأمومية في تبني لقب لتخطر على بالها. وهذا يُثبت أنّها كانت شابة ناضجة عندما التحقت ببيت النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم).

(vi) تبني يتيما

يقول بن عساكر في "تاريخ دمشق":

يروي بشير بن عقربه أنّ والده استُشهد في غزوة أُحد. فجلس يبكي وإذابالنبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) يخاطبه فجأة قائلا: ألست راضيا أنّي ساكون والدك وعائشة والدتك؟

لنتأمل فقط في هذا الموقف: ما كان النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم) ليقول لصبي في السابعة من عمره إنّ عائشة هي أمّك، لو كانت عائشة فتاة صغيرة في العاشرة من عمرها أيام غزوة أُحد.

استنادا إلى الحقائق الوارد ذكرها آنفا، يتبيّن أنّ السيّدة عائشة (رضي الله عنها) كانت تبلغ واحد وعشرين سنة أيام غزوة أحد.

خاتمة

إذا أخذنا بعين الاعتبار الأدلة التي تمت مناقشتها آنفا، فمن الواضح تمامًا أنّ السيّدة عائشة (رضي الله عنها) كانت تبلغ ستة عشر سنة عند نكاحها وتسعة عشر سنة عندما التحقت ببيت النبي (صلى الله عليه وآلِه وسلم).

و قد كانت عائشة (رضي الله عنها) في التاسعة والعشرين من عمرها، حينما التحق الرسول (صلى الله عليه وآلِه وسلم) بالرفيق الأعلى. و قد توفيت عام 50 هـ ، وهي عن عمر يُناهز سبعة وستين سنة.

يُرجى من أئمتنا وعلمائنا المسلمين

التفضل بنشر هذه الرواية.

كتبنا متوفرة مجّانا



لمزيد من المعلومات، يُرجى التواصل مع المركز الدولي للدعوة الإسلامية

رؤية إسلامية 426-434 كوفنتري رود، بكنغام، B10 0UG ، المملكة المتحدة

IPCI الهاتف: 0121 733 0137

الفاكس: 0121 766 8577

الإيميل: info@ipci-iv.co.uk

الموقع: ipci-iv.co.uk

ISLAMIC VISION

IPCI